المحاضرة الثالثة والثلاثون:النتائج المترتبة عن الاتصال الثقافي

النتائج المترتبة عن الاتصال الثقافي

أن عالمية الاتصال الثقافي لا تعني تماثل الآثار والنتائج المترتبة عن الاتصال الثقافي في المواقف المختلفة، بل أن هذه الآثار تتفاوت في آثارها النفسية والاجتماعية ولكن تذهب البحوث الانثروبولوجية أن نتائج الاتصال الثقافي تنحصر في أربعة أنواع.

أولا- الانصهار الثقافي

لعل الغزو الاستعماري الاستيطاني الحربي والضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي رافقته أقوى عمليات الإذابة الحضارية، التي تعرضت لها الجماعات البدائية البسيطة في العالم منذ حركة الاستكشافات الجغرافية والتوسع الاستعماري.

نموذج في ذلك: الغزو البرتغالي عام ١٥٠٠ لسواحل أمريكا الجنوبية التي كانت تسكنها جماعات هندية تتمتع بالاستقلال عن بعضها البعض. ابتداء من ذاك التاريخ بدأت عملية الإذابة تفرض نفسها على الجماعات الأصلية.

وتدريجياً تزايد أعداد الجنود البرتغال، إذ كانت الحكومة البرتغالية ترسلهم إلى البرازيل، وصار الجنود البرتغال يسكنون في مستوطنات دائمية هناك. رغم احتقارهم لثقافات الهنود لكنهم لم يترددوا عن الزواج بالهنديات. إذ ترتب عن الزواج تأثيرات بايولوجية، إذ دخلت الصفات الوراثية إلى دماء السكان الأصليين وباستمرار الزواج لمئات السنين أحدث تغييرا جوهريا في الذاتية البايلوجية للسكان الأصليين من الهنود الحمر وللزنوج المجلوبين من أفريقيا.

ومارس الغزاة نشاطا أخر كان له تأثيره في إضعاف السكان، وهو الحملات التي شنوها على مستوطنات الهنود الحمر التي كانت تستهدف خطف الرجال والأطفال وبيعهم في سوق العبيد (في القرنين ١٦و١٧) ومما زاد في أهمية هذا النشاط مزارع السكر والقهوة التي أنشأها الغزاة التي كانت تحتاج الأيدي العاملة.

لذا أصبح السكان الأصليين مستعبدين في مزارع الغزاة البيض. وهكذا أصبحت مستوطنات الهنود تتقلص أعدادها بشكل خطير بسبب أعمال الخطف التي حملت أفرادها للعمل في المزارع البرتغالية.

لعل العامل في التعرية البايولوجية التي تعرض لها الهنود في البرازيل هي الحروب التي شجعها الاستعماريون الفرنسيون والبرتغاليون بحكم تنافسهم على أراضي السكان، فقد ازدادت الحروب البدائية في أوقات الاستعمار البرتغالي والفرنسي في أمريكا الجنوبية إضعاف ما كانت علية قبل قدومهم.

ومما ساعد على توسيع حركة إبادة السكان هو انقسام الهنود إلى حلفاء للغزاة ومناؤين لهم الأمر الذي شجع بعض القبائل على مساعدة الغازي في الفتك بأبناء وطنهم.

عامل أخر_ الأوبئة الفتاكة التي جلبها البعض معهم للقارة الأمريكية الجنوبية، الجدري والحصبة التي لم يعرفها الهنود قبل، مما أدى إلى اندثار المئات من المستوطنات الهندية من الوجود بحكم افتقار سكانها للمناعة ضدها وتشير التقارير إلى ان ٥٠% واكثر من السكان الأصليين قد ماتوا بالأوبئة خلال العشرين سنة الأولى من اتصالهم بالبرتغاليين. كان هذا على مستوى الإذابة البايولوجية.

أما على مستوى الصهر الثقافي، فقد نشطت الحملات التبشيرية في كل مكان، فالبرتغاليون أرادوا من الهندي جسده لأعمال السخرة بينما أراد المبشرون (روحه) وقد تنافس الجزويث والمبشرون والبرتغاليين فيما بينهم من اجل احتكار السيطرة على الهنود وتمخضت نشاطات الجزويت عن إنشاء قرى تبشيرية هجروا إليها المستوطنات الهندية المتفرقة وصاروا يحمونها من حملات تجار العبيد وادت عملية التهجير إلى اختلاط سكان القبائل ذات اللغات المتعددة المختلفة في قرى واحدة مما اجبر المبشرين على استخدام اللغة الأكثر انتشارا فيما بينهم لتعليم سكان المستوطنات المذهب الكاثوليكي الذي انتشر فيما بينهم، وهكذا استمرت عملية الجرف البايولجي والثقافي.

خلاصة القول ان البرازيل تمثل حالة من حالات الانصهار الثقافي نتيجة اتساع تأثير المعارضة البرتغالية الذي استمر منذ بداية اتصال الغزاة البيض بالسكان وحتى هذه اللحظة ويمكن القول ان الثقافة المحلية الهندية لم تعد تساعد على التكيف لأساليب الحياة الجديدة التي فرضها عليهم الغزاة.

فضلاً عن ان هناك فجوة اقتصادية كبيرة بين سكان القبائل وبين الأفراد ذوي الأصل الأوربي. ولا يزال الهنود يندمجون في الحضارة الأوربية البرازيلية بصورة متزايدة، فالهندي الذي يغادر قريته إلى المدينة ويجيد اللغة البرتغالية ويتعلم أعراف المدينة ويعتنق الديانة الكاثولوكية يصبح عضوا في المجتمع البرازيلي المعاصر في الوقت الذي تفقده جماعاته الهندية. وهكذا فالتيار لصالح انتشار الثقافة الأوربية وانكماش وتلاشي الثقافة الهندية في تلك البقعة من أمريكا الجنوبية لقد اصبح الهنود أقلية في أرضهم بالنسبة للبيض المقيمين ولا شك ان قانون الصهر الثقافي عمل على إضعافهم لا العكس.

وما يتمخض عن الصهر الثقافي.

١_ التوحد _ التمثل.. يصبح من المعتذر الفصل بين الثقافتين وبمرور الزمن تشكلان ثقافة واحدة.

٢_ الاندماج. تفقد ثقافة معينة استقلالها لكنها تبقى قائمة كثقافة فرعية أو تشكل طبقة مغلقة.

٣_ الانقراض تفقد ثقافة معينة أفرادها بفعل الحروب والأوبئة أو النقل وتهجير الأفراد.

٤_ التكييف يتحقق توازن بنائي داخلي خارجي جديد.